(٨٨) سورة الغاشية

فى رحاب السورة الكريمة

سورة كريمة مكية آياتها ست وعشرون نزلت بعد سورة الذاريات، تناولت أمرين هامين:

أولا: يوم القيامة وما فيه من أهوال وشدائد وما يلقاه الكافرون من بؤس وشقاء.

ثانيا: الأدلة والبراهين على وحدانية الله عز وجل وقدرته الباهرة فى مخلوقاته العظيمة وكلها شواهد على وحدانية الله وجلال سلطانه

وختمت السورة الكريمة بالتذكير برجوع الناس جميعا إلى الله سبحانه للحساب والجزاء وقد سميت السورة بالغاشية للتذكير بما يغشى الكافرين من أهوال وشدائد يوم القيامة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ۝ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝ ﴾

معانى المفردات:

الغاشية: القيامة حيث تغشى الناس بأهوالها — خاشعة: ذليلة من الخزى

عاملة: تجر السلاسل والأغلال فى النار — ناصبة: متعبة

تصلى نارا: تدخلها أو تقاسى حرها

عين آنية: بلغت أناها (غايتها) فى الحرارة

ضريع: شىء فى النار كالشوك مُرٌّ منتن

لا يغنى من جوع: لا يدفع عنهم جوعا ناعمة: ذات بهجة وحسن

لاغية: لغوا وباطلا سرر مرفوعة: رفيعة القدر

أكواب موضوعة: أقداح مُعَّدة للشراب نمارق: وسائد ومرافق

مصفوفة: بعضها إلى جانب بعض

زرابى مبثوثة: بُسُط فاخرة متفرقة فى المجالس ينظرون: يتأملون

بمسيطر: بمتسلط جبار إيابهم: رجوعهم بالبعث

التفسير:

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ هل جاءك يا محمد خبر الداهية العظمى يوم القيامة التى تغشى الناس وتعمهم بشدائدها وأهوالها والاستفهام للتشويق وللتنبيه قال المفسرون: سُمِّيت غاشية لأنها تغشى الخلائق بأهوالها وشدائدها، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴾ أى وجوه فى ذلك اليوم ذليلة خاضعة مهينة، ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ أى دائبة العمل فيما يتعبها ويشقيها فى النار، قال المفسرون: هذه الآية فى الكفار يتعبون ويشقون بسبب جر السلاسل والأغلال، وخوضهم فى النار خوض الإبل فى الوحل، وهذا جزاء تكبرهم وعنادهم فى الدنيا وشركهم بالله تعالى ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ أى تدخل نارا مسعرة شديدة الحر قال ابن عباس: قد حميت فهى تتلظى على أعداء الله[1] ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ أى تسقى من عين متناهية الحرارة وقد وصل حرها وغليانها درجة النهاية ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ أى ليس لأهل النار طعام إلا الضريع وهو نبت ذو شوك تسميه قريش (الشبرق) وهو أخبث طعام وأبشعه، قال تعالى فى سورة الحاقة ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ ولا تنافس بينهما لأن العقاب ألوان والمعذبون أنواع فمنهم من يكون طعامه الزقوم ومنهم من يكون طعامه

---

(١) تفسير الخازن ٤/٢٣٧.

الضريع، ومنهم من يكون طعامه الغسلين وهكذا يتنوع العذاب، ﴿ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ أى لا يفيد القوة والسمن فى البدن، ولا يدفع الجوع عن آكله، قال أبو السعود: أى ليس من شأنه الإسمان والإشباع، كما هو شأن طعام الدنيا[1] ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ أى وجوه المؤمنين يوم القيامة ناعمة ذات بهجة وحسن، وإشراق ونضارة ﴿ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ أى لعملها الذى عملته فى الدنيا وطاعتها لله، راضية مطمئنة، لأن هذا العمل أورثها الفردوس دار المتقين، ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ أى فى حدائق وبساتين مرتفعة مكانا وقدرا، وهم فى الغرفات آمنون ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ أى لا تسمع فى الجنة سبابا أو فُحْشا قال ابن عباس: لا تسمع أذى ولا باطلا[2] ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ أى فيها عيون تجرى بالماء السلسبيل لا تنقطع أبدا قال الزمخشرى: التنوين للتكثير أى عيون كثيرة تجرى مياهها[3] ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ أى فى الجنة أسرّة مرتفعة، مكللة بالزبرجد والياقوت عليها الحور العين فإذا أراد ولى الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له[4] ﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ أى وأقداح موضوعة على حافات العيون، معدة لشرابهم لا تحتاج إلى من يملؤها ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ أى ووسائد – مخدات – قد صف بعضها إلى جانب بعض ليستندوا عليها ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ أى وفيها طنافس فاخرة، لها خمل رقيق مبسوطة فى أنحاء الجنة، ثم ذكر تعالى دلائل قدرته ووحدانيته فقال سبحانه ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ أى أفلا ينظر هؤلاء الناس نظر تفكر واعتبار إلى الإبل ـ الجمال ـ كيف خلقها الله خلقا عجيبا بديعا يدل على قدرة خالقها؟ ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ أى وإلى السماء البديعة المحكمة، كيف رفع الله بناءها، وأعلى سمكها بلا عمد ولا دعائم؟ ﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ أى إلى الجبال الشاهقة كيف نصبت على الأرض نصبا ثابتا راسخا لا يتزلزل؟ ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ أى وإلى الأرض التى يعيشون عليها،

---

(١) تفسير أبى السعود ٥/٢٥٩.

(٢) تفسير الطبرى ٣٠/١٠٤.

(٣) روح المعانى ٣٠/١١٥.

(٤) مختصر ابن كثير ٣/٦٣٣.

كيف بسطت ومهدت حتى صارت شاسعة واسعة كرة أو قريبة من الكرة لمكانة عظمتها[1] قال ابن كثير: نبه الله تعالى الإنسان البدوى على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذى يركبه، والسماء التى فوق رأسه، والجبل الذى تجاهه، والأرض التى تحته، على قدرة خالق ذلك وصانعه، وأنه الربُّ العظيم، الخالق المالك المتصرف الذى لا يستحق العبادة سواه[2] ثم قال تعالى ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ أى فعظهم يا محمد وخوفهم ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يتفكرون فإنما أنت واعظ ومرشد ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ أى لست بمتسلط عليهم ولا قاهر لهم حتى تجبرهم على الإيمان ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴾ أى لكن من أعرض عن الوعظ والتذكير وكفر بالله العلى القدير ﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ أى فيعذبه الله بنار جهنم الدائم قال القرطبى: وإنما قال الأكبر لأنهم عُذِّبوا فى الدنيا بالجوع، والقحط والأسر[3] ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾ أى الينا رجوعهم بعد الموت ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا ﴾ أى ثم إن علينا وحدنا حسابهم وجزاءهم.

الإعراب:

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ	هل حرف استفهام مبنى على السكون ومعناه التشويق إلى استماع حديث الغاشية، وقال ابن خالويه هل بمعنى قد والمعنى قد أتاك، أتاك فعل ماض مبنى والكاف ضمير خطاب فى محل نصب مفعول به مقدم، وحديث فاعل مؤخر مرفوع، الغاشية مضاف إليه مجرور.
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ	وجوه مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة وساغ الابتداء بنكرة لوجود التنويع والوصف، يومئذ ظرف مضاف لمثله متعلق بخاشعة، خاشعة خبر مرفوع بالضمة الظاهرة.

(١) أثبت علماؤنا أن الأرض كروية كالإمام الفخر الرازى وأبى السعود والألوسى فليس فى القرآن ما يخالف الحقائق العلمية..

(٢) مختصر ابن كثير ٣/٦٣٤.

(٣) تفسير القرطبى ١٩/٣٧.

عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ	خبران آخران مرفوعان بالضمة الظاهرة، وقيل إنهما صفات والخبر هو جملة تصلى نارا حامية.
تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً	تصلى فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة، والفاعل ضمير مستتر تقديره هى، نارا مفعول به منصوب، حامية نعت منصوب، وعلى الرأى الثانى تكون الجملة فى محل رفع خبر رابع. وقرئ بالضَّم "تُصْلَى" وتكون نارا مفعول به ثانيا ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هى.
تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ	تُسقَى فعل مضارع مبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هى، من عين جار ومجرور متعلقان بتسقى، وآنية صفة العين.
لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ	ليس فعل ماض ناقص مبنى على الفتح لهم جار ومجرور فى محل رفع خبر مقدم طعام اسم ليس مؤخر إلا أداة استثناء تفيد الحصر من ضريع جار ومجرور فى محل رفع نعت لطعام أو بدل منه ويجوز أن يكون فى محل نصب على الاستثناء.
لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ	لا حرف نفى مبنى يسمن مضارع مرفوع بالضمة ولا يغنى معطوف على لا يسمن من جوع جار ومجرور والجملتان صفتان لضريع لا لطعام.
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ	وجوه مبتدأ مرفوع وساغ الابتداء ينكره للتنويع ويومئذ ظرف أضيف لمثله متعلق بناعمة وناعمة خبر مرفوع بالضمة الظاهرة لسعيها جار ومجرور متعلقان براضية وراضية خبر كان مرفوع.
فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً	فى جنة خبر ثان لوجوه عالية نعت لجنة وجملة لا تسمع فيها لاغية صفة ثانية لجنة لا نافية تسمع مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت فيها جار ومجرور متعلقان بتسمع لاغيه مفعول به منصوب.

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ	الجملة نعت ثالث لجنة فيها جار مجرور فى محل رفع خبر مقدم عين مبتدأ مؤخر مرفوع جارية نعت لعين.
فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ	الجملة صفة رابعة لجنة، فيها خبر مقدم، سرُرُ مبتدأ مؤخر وما بعدها عطف عليها.
أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ	الهمزة للاستفهام الإنكارى الفاء للعطف على مقدر يستحق المقام والتقدير أينكرون البعث فلا ينظرون لا نافية ينظرون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل إلى الإبل جار ومجرور متعلقان به وكيف اسم استفهام فى محل نصب حال خلقت فعل ماض مبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هى.
وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ	الكلام معطوف على ما تقدم مماثل له فى الإعراب قال ابن خالوية عن الزمخشرى: "وروى عن هارون الرشيد أنه قرأ كيف سطحت بالتشديد والقراءة بتخفيفها لاجتماع الكافة عليها".
فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ	الفاء هى الفصيحة ذكر فعل أمر مبنى على السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ومفعوله محذوف أى فذكرهم إنما كافة ومكفوفة أنت مبتدأ مذكر خبر مرفوع وجملة إنما أنت تعليلية للأمر ذكر ولست ليس واسمها عليهم متعلقان بمسيطر والباء حرف جر زائد ومسيطر مجرور بالباء لفظا منصوب محلا لأنه خبر ليس.

إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ	إلا أداة استثناء ومن مستثنى والاستثناء متصل من مفعول فذكر أو من الهاء فى عليهم وقيل الاستثناء منقطع وإلا بمعنى لكن ألغى عملها ومن مبتدأ خبره جملة فيعذبه وكلاهما جيد محتمل وجملة تولى صلة مَنْ لا محل لها من الإعراب وكفر فعل ماض مبنى والفاعل ضمير مستتر والجملة عطف على جملة الصلة وجملة إلا من تولى وكفر فى محل نصب على الاستثناء المنقطع الفاء فى فيعذبه رابطة لما فى الموصول من معنى الشرط يعذبه مضارع مرفوع والهاء فى محل نصب مفعول به الله فاعل مرفوع العذاب مفعول مطلق منصوب الأكبر نعت منصوب للعذاب.
إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم	إن حرف توكيد ونصب مبنى على الفتح إلينا جار ومجرور فى محل رفع خبر مقدم لإنَّ، إيابهم اسم إن منصوب مؤخر ثم حرف عطف مبنى على الفتح وما بعدها عطف على ما تقدم وينفس الإعراب.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من صور البيان والبديع نذكر منها:

❖ المجاز المرسل فى قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴾ حيث أطلق الجزء وأراد الكل والمراد أصحاب الوجوه.

❖ الطباق فى الحرف بين ﴿ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾ و ﴿ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾.

❖ الجناس فى قوله تعالى "فذكر..... مذكر" وبين "فيعذبه..... العذاب"

❖ أسلوب التشويق فى قوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾.

❖ المقابلة بين وجوه الأبرار ووجوه الفجار فى قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾.

❖ السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

❖ ❖ ❖